الافتتاحيّة

الجهاد الحسيني... ثورة على الظلم والظالمين

الشيخ حسن أحمد الهادي[1]

اشتقّت كلمة «**الجهاد**» من «**الجَهْد**» و «**الجُهْد**» بمعنى «**المشقّة والعناء**» وبمعنى «**الوسع والطّاقة**»، وعليه، يكون معنى الجهاد: هو بذل الوسع والطّاقة أو تحمّل العناء والمشقة. وقد استخدم القرآن المجيد في آياته التي تحدّثت عن موضوع بذل الجهد والوسع في قتال العدو، مفردتين اثنتين هما: الجهاد والقتال، في قوله تعالى ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[2]، وقوله عزّ وجلّ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[3].

وقد اعتبر بعض المفسِّرين أنّ آيات الجهاد الواردة في القرآن الكريم ناظرة في الواقع إلى هذين النوعين من الجهاد: جهاد النفس وجهاد العدو. فقد فسّر العلامة الطبرسي قدس سره معنى الجهاد في قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[4] بجهاد الكفار، وبمجاهدة أهواء النفس[5]. أمّا كلمة «**القتال**» فهي بمعنى الحرب، ولم

(1) رئيس تحرير مجلة الحياة الطيبة.
(2) التوبة،41.
(3) البقرة، 244.
(4) العنكبوت، 69.
(5) يُراجع: تفسير مجمع البيان، ج8، ص41.

تستعمل في القرآن المجيد سوى للإشارة إلى الحرب مع العدو الظاهري والخارجي. وقلّما نزلت آيات بشأن فرعٍ من فروع الدين الإسلامي كما هو الحال بشأن الجهاد. ثم نجد أنّه نزلَ البعضُ منها بلسانٍ صريحٍ، ينصّ على الجهاد والقتال، والبعض الآخر بلسانٍ غير مباشر، يتعرّض إلى المسائل الجانبية المتعلّقة به. كما في قوله تعالى: ﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1]. وفي آية أخرى جعل الله تعالى نفسه مشتريَ أرواحِ المؤمنين المجاهدين وأموالهم، في صورة تدلّل على قبول الله تعالى لجهاد المجاهدين المؤمنين، فهو تعالى يمتدحهم ويقدّم الوعد الجميل، حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[2].

كما أشار تعالى إلى أنّ المجاهدين هم أحباؤه واقعاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[3]، ووعدهم بالأجر العظيم والجزيل، واعتبرهم الفائزين في هذا العالم وبشّرهم برحمةٍ منه ورضوان، وجنّاتٍ تجري من تحتها الأنهار، وخصّهم بها دون العالمين: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝٢٠ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[4].

ويكفي لمعرفة أهمّيّة الجهاد الالتفات إلى ما وعد الله تعالى به من الأجر العظيم حيث قال عزّ من قائل: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا

(1) النساء، 95.
(2) التوبة، 111.
(3) الصف، 4.
(4) التوبة، 20-21.

عَظِيمًا﴾[1]. إذ أطلق الله تعالى لفظ الأجر العظيم ولم يحدّد ماهيته وقدره، لكي يوضح لنا أنّ هذا الأجر هو فوق ما يتصوّره الإنسان.

وقد أكثرت الروايات من الحث على الجهاد وحقيقته وفضله، فاعتبرته أحب الأعمال إلى الله تعالى، وأنه الخير كله/ فقد روي أنّ أبا ذرّ الغفاري سأل النبي الأكرمﷺ: «**أيُّ الأعمالِ أحبُّ إلى الله عزّ وجلّ؟ فقال: إيمان بالله، وجهادٌ في سبيله. قال: قلتُ: فأي الجهاد أفضل؟ قال: من عقرَ جواده وأُهريقَ دمُه في سبيل الله**»[2]. ورُوي عن النبيﷺ أنّه قال «**الخير كلّه في السيف، وتحت ظلّ السيف**»[3].

وهو ذروة الإسلام وسنامه كما ورد عن الإمام الباقرعليه السلام قال لأحد أصحابه: «**ألاَ أُخبرك بالإسلام وفرعه وذروته وسنامه؟ قال: قلتُ: بلى جعلت فداك، قالعليه السلام: أمّا أصله فالصلاة، وفرعه فالزكاة، وذروته وسنامه الجهاد**»[4].

وبالإضافة إلى ما ذُكِرَ منَ الآيات والروايات، فإنّ التدقيق في دور الجهاد في الإسلام، ومنزلته بالنسبة لسائر الواجبات الدينية، يطلعنا أيضاً على أهمّيّته وعظمته. فالجهاد الدفاعي سبب في توفير الأمن، والذي في ظلّه فقط يمكن إقامة سائر الواجبات والحدود الإلهية. وفي الجهاد الابتدائي أيضاً رفع للموانع من أجل تبليغ الدين الإلهي، وهو موجب لميل عددٍ من المجتمعات البشرية نحو الدين الحقّ، ومن الام تبليغ الدين الإلهي، وهو ما يسبب في ميل عدد من المجتمعات البشرية نحو الدين الحق.

واجبات الدينية، يطلعنا أيضاً على أهميته وواضح أنّه مع تحقّق هذا الميل وازدياد عدد المسلمين يصبح بالإمكان إرساء قواعد حكومة العدل الإلهي وتحقيق سعادة البشرية. وباختصار إنّ تبليغ أصول الدين والعمل

(1) النساء، 74.
(2) بحار الأنوار، ج97، ص11.
(3) م.ن، ص9.
(4) بحار الأنوار، ج66، ص392.

بفروعه، وحفظ الكرامات والدماء والأعراض والأرض وسائر المقدّسات مرهون في كثيرٍ من الموارد بأداء هذه الفريضة الإلهية الكبرى.، وهو ما يدلّ بدوره على عظمتها وفضلها. وبهذا يصبح الجهاد طريقاً لتحقيق رضا الله تعالى، وباباً للتقرّب منه، فأيّ نعمة وأيّ توفيق لمن أتيح له الدخول إلى هذا الميدان الذي عبّر عنه أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «**أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنّته الوثيقة**»[1].

الجهاد الحسيني ثورة للحق ورفع الظلم

قامت الثورة الحسينية لتشييد أركان الحق، وللإصلاح برفع الظلم عن الإسلام والمجتمع الإسلامي، ولعزة الإسلام والمسلمين ليعيش المسلمون بعزة واقتدار. فقد صرّح الإمام الحسين عليه السلام بذلك في عدة مواضع، منها: «**ألا ترون أنَّ الحقّ لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه؟! ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برماً**»[2].

ومنها قضية الإصلاح التي أعلنها الإمام الحسين عليه السلام واعتبرها وهدفاً لثورته وقد أشار اليه عليه السلام في سياق وصيّته لأخيه محمد بن الحنفية: «**.. وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين**» مقتل الحسين للمقرّم : 156.

فإنّ الإصلاح المقصود هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كلّ جوانب الدين والحياة، وقد تحقّق ذلك من خلال النهضة العظيمة التي

(1) ميزان الحكمة، ج1، ص444.
(2) اللهوف في قتلى الطفوف،ص48.

قام عليه السلام بها فكانت الهداية والرعاية للبشر دينياً ومعنوياً وإنسانياً وأُخروياً بشهادته وأهله وأصحابه الخلص.

ومنها مقولته الشهيرة هيهات منا الذلة التي رفعها الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة الظلم والظالمين، فقد أعلن الإمام الحسين عليه السلام عندما توضّحت نوايا الغدر والخذلان والإصرار على محاربة الإمام عليه السلام وطاعة يزيد الفاسق: «**فسحقاً لكم يا عبيد الأُمّة وشذّاذ الأحزاب ونَبَذَة الكتاب ونفثة الشيطان وعصبة الآثام ومحرّفي الكتاب ومطفئي السنن وقتلة أولاد الأنبياء ومبيدي عترة الأوصياء وملحقي العهار بالنسب ومؤذي المؤمنين وصُراخ أئمّة المستهزئين الذين جعلوا القرآن عضين، ولبئس ما قدّمت لهم أنفسهم وفي العذاب هم خالدون...**». ثم قال عليه السلام: «**ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة! يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وجدود طابت وحجور طهرت وأُنوف حميّة ونفوس أبيّة لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام...**» [أعيان الشيعة: 1 / 603].

فهذا ليس شعاراً شكلياً رفعه الإمام عليه السلام، بل نهجاً رسمه للأمة ولكل الأجيال القادمة بأن الذل والخضوع للظالم لا مكان له في قاموس المجاهدين الحسينيين، لأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين كما صرح الذكر الحكيم.

لهذا فإن الشهادة التي تخضّبت بها الثورة الحسينية كانت أمنية الصلحاء على مر التاريخ، بل إن الأئمة المعصومين عليهم السلام كانوا ينتظرون لحظة الشهادة ويعتبرونها كرامة من الله تعالى، فهذا الإمام زين العابدين عليه السلام يخاطب ابن زياد قائلاً: «**أبالقتل تهدّدني يا ابن زياد؟! أما علمت أن القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة**»[1]. هذا هو النهج الإسلامي الصحيح الذي يؤكّد على حب الشهادة، فكما أن النصر والظفر هي أمنيته فكذلك الشهادة هي أمنية له. يقول تعالى في كتابه الحكيم: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ

(1) بحار الأنوار، ج45، ص118.

إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ﴾[1]. إنها حقاً لكرامة ليس دونها كرامة أن تُختم حياة الإنسان بالشهادة في سبيل الله!

كربلاء ثورة على الظلم والظالمين

الظلم عند أهل اللغة وكثير من العلماء: وضع الشيء في غير موضعه المختّصّ به؛ إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه.. والظلم يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة في الدائرة ويقال فيما يكثر وفيما يقل من التجاوز[2]. وتشهد دراسة التاريخ البشري بأن الإنسان مهما كان دينه ومسلكه وانتمائه، وأينما حلّ في بقاع الأرض، يُدرك بنفسه قُبح الظلم وحُسن العدل، كما يُدرك بنفسه حسن الوفاء بالعهد وقبح نقضه، وحُسن معونةِ المظلومين ونصرتهم، وقُبح إعانه الظالمين ونصرتهم. ولهذا فإن الخروج عن هذه القاعدة من قبل المتكبّرين في الماضي والحاضر، وظلم الشعوب وسلب مقدّراتها وعدم إعطائها ماتستحقه هو من أجلى مصاديق الظلم والتكبّر والتعالي، خاصة وأن أساس الظلم نابع إما من جهل الفاعل بقبح الظلم، أو كونه سفيهاً غير حكيم فهو يمارس الظلم مع علمه بقبحه ورغم قدرته على القيام بالعدل، أو من إحتياجه للظلم لحفظ مصالحه ومشاريعه وإن كان على حساب حق الناس وكرامتهم.

وجوب نصرة المظلوم في الإسلام:

إن حرمة الظلم من الواضحات في الدين الإسلامي، بل ومن واجبات كل مسلم تجاه أخيه المسلم بتقديم العون له متى احتاج إليه، ودفع الظلم عنه إن كان مظلومًا، وكان النبي ﷺ يشحذ همم المسلمين ويحثّهم على نصرة المظلوم مبينًا أن الجزاء سيكون من جنس العمل: «**ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا خذله**

(1) التوبة، 52.
(2) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، 537

الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته». وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**ما من مؤمن يعين مؤمناً مظلوماً إلا كان أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام، وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته إلا نصره الله في الدنيا والآخرة، وما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة**»[1]. وقد نهى القرآن الكريم عن الاعتداء على الآخرين، بالظلم أو القتل أو غصب الأموال والممتلكات والاعتداء على الأعراض : ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[2]. وحصر التعاون بالبر ونهى عن الإثم والعدوان، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ﴾[3].

المدرسة الحسينية في مواجهة الظلم والظالمين

جمع الإمام الحسين عليه السلام أصحابه قرب المساء. قال علي بن الحسين زينُ العابدين عليه السلام: «**فدنوتَ منه لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذ ذاك مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه: أثني على الله أحسن الثناء، وأحمده على السراء والضراء. اللهمّ إنّي أحمدك على أنْ أكرمتنا بالنبوّة، وعلّمتنا القرآن، وفقّهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، فاجعلنا من الشاكرين! أما بعد: فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي؛ فجزاكم الله عنّي خيراً. ألا وإنّي لأظنّ أنّه آخر يوم لنا من هؤلاء، ألا وإنّي قد أَذِنْتُ لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ، ليس عليكم مني ذمام. هذا الليل قد غشيكم فاتّخِذوه جملاً**»[4].

إنّ هذه الرواية عن الإمام السجّاد عليه السلام عن أبيه الإمام الحسين عليه السلام، لهي شهادة من إمامٍ معصوم، شأنه شأن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، الصدق

(1) وسائل الشيعة، ج12
(2) لقمان، 17.
(3) المائدة ، 2.
(4) المفيد، الإرشاد، ج2، ص92.

والأمانة، وعدم النطق عن الهوى، شهادة إلهيّة سامية، لم يُعطِ مثلَها لأحدٍ من معصوم، وهي تدلّ على جوهر هذه القلّة القليلة ومعدنهم الطاهر الولائيّ لله ورسوله ﷺ.

فقد أجاز الإمام الحسين عليه السلام أصحابه، وأعطاهم الرخصة بالذهاب ليلة العاشر من المحرّم، كما يظهر في الرواية التي ذُكرت في المقدّمة، وهو إمام معصوم، لا يتكلّم عبثاً ولغوا، كما أنّه طلب منهم أن يأخذوا أهل بيته معهم، فكان جوابهم خير دليلٍ على ولائهم المطلق وتسليمهم التامّ، حيث أَبَوا أن يخذلوه طرفة عين أبداً، فهم لا يرون للحياة قيمة من دونه، ويعتبرون الجهاد بين يديه والشهادة أمام عينيه شرفاً وكرامةً وعزّاً لا يناله إلا ذو حظٍّ عظيم. فقد خاطبهم عليه السلام قائلاً: «**إنّ هؤلاء يريدونني دونكم، ولو قتلوني لم يُقبِلوا إليكم، فالنجاة النجاة، وأنتم في حلّ، فإنّكم إن أصبحتم معي قُتلتم كلكم**».

فقالوا: لا نخذلك، ولا نختار العيش بعدك»[1].

فقام إليه مسلم بن عوسجة، فقال: «**أنخلي عنك، ولَمَّا نُعذَرْ إلى الله سبحانه في أداء حقِّك؟! أَمَا والله حتى أطعن في صدورهم برمحي، وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به، لقذفتهم بالحجارة. والله، لا نُخْلِيْكَ حتى يعلمَ الله أنْ قد حفظنا غيبة رسول الله ﷺ فيك. والله، لو علمت أنّي أُقتل ثمّ أحيا ثمّ أُحرق ثمّ أحيا ثمّ أذرّى، يُفعل ذلك بي سبعين مرّة ما فارقتك حتى ألقى حِمامي دونك، فكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة! ثمّ هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا**»[2].

إنّ عبارة «**ولَمَّا نعذر إلى الله سبحانه في أداء حقِّك**» فيها دلالة واضحة على إيمان مسلم بن عوسجة، واعتقاده بالسلسلة الهرميّة للولاية. فهو، بتعبيره

(1) الراونديّ، قطب الدين، الخرائج والجرائح، مؤسّسة الإمام المهديّ عليه السلام / بإشراف السيّد محمّد باقر الموحّد الأبطحيّ، قم – إيران، مؤسّسة الإمام المهديّ، 1409هـ، الطبعة الأولى، ج1، ص254.
(2) المفيد، الإرشاد، ج2، ص92.

هذا، يدلّ على معرفته التامّة بأنّ طاعة الوليّ هي طاعة لله ولرسوله ﷺ، ثمّ يجسّد هذه المعرفة والوعي بالتسليم المطلق عندما يصوّر فرضيّة قتله وحرقه وأنّه لو فعلوا هذا به سبعين مرّة لما فارق الحسين عليه السلام.

وقام زهير بن القين البجليّ رحمه الله فقال: «**والله، لوددتُ أنّي قُتِلت ثمّ نُشِرت ثمّ قُتِلت، حتى أقتل هكذا ألفَ مرّة، وأنّ الله تعالى يدفع بذلك القتل عن نفسك، وعن أنفس هؤلاء الفتيان من أهل بيتك**»[1].

فلم تكن المواقف الكربلائيّة، ليلة العاشر ويومه، نابعةً من عواطف جيّاشة فحسب، بل إنّها كانت ترتكز على معرفة يقينيّة قاطعة، تعتبر أنّ الطاعة لوليّ الأمر، حتى لو كان فيها بذلٌ للأرواح، هي السبيل الوحيد لحفظ الدين والإسلام؛ لذلك تراهم يرفضون أيّ أمانٍ يضمن لهم نجاتهم وحياتهم، ويصدّون أيّ خوف يمنعهم من الوصول إلى غايتهم، فترى الأحاسيس والعواطف تتحوّل إلى إدراك ووعي على مستوى الرسالة والقضيّة.

فهذا العبّاس بن عليّ عليهما السلام، نافذ البصيرة، يردّ أمان الشمر قائلاً: «**لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟! وفي رواية: فناداه العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام: «تبّت يداك، ولعن ما جئتنا به من أمانك يا عدوّ الله. أتأمرنا أن نترك أخانا وسيّدنا الحسين بن فاطمة، وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء؟!**»[2].

وهذا زهير بن القين، يخاطب الشمر حين هدّده ورماه بالسهم، فيقول: أفبالموت تخوّفني؟! فواللَّه، لَلموتُ أحبُّ إليّ من الخلد معكم[3].

وهذا عابس بن أبي شبيب الشاكريّ، الذي خاطب الإمام عليه السلام، قائلاً: «**أمّا بعد، فإنّي لا أخبرك عن الناس، ولا أعلم ما في أنفسهم، وما أغرَّك منهم. والله أحدّثك عمّا أنا موطّن نفسي عليه، والله لأجيبنّكم إذا دعوتم،**

(1) م. ن.
(2) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ص54.
(3) النويريّ، نهاية الأرَب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والإرشاد القوميّ، المؤسّسة المصريّة العامّة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، لا. ط، ج20، ص443.

ولأقاتلّن معكم عدوّكم، ولأضربّن بسيفي دونكم حتى ألقى الله، لا أريد بذلك إلا ما عند الله»[1].

إنّ عبارة «**لا أريد بذلك إلا ما عند الله**»، لهي خير شاهد على نوايا هؤلاء الأصحاب، وشدّة إخلاصهم في نواياهم تلك. وما عبارة عابس إلا لسان حال كلّ فرد من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام، وهذا ما عبّر عنه حبيب بن مظاهر حيث قال: «**رحمك الله! قد قضيت ما في نفسك بواجزٍ من قولك**»، ثمّ قال: «**وأنا، والله الذي لا إله إلا هو، على مثل ما هذا عليه**»[2].

نعم، هذا هو الإخلاص لله تعالى الذي لا يكون إلا برضى وليّه عليه السلام، هذا هو الإخلاص الذي يبيع الدنيا وحطامها بالنعيم الأبديّ في جنان الخلد مع الأولياء

وكذا ما حصل ليلة العاشر من محرّم، مع حبيب بن مظاهر وباقي الأصحاب أمام مخيّم عقيلة الهاشميين السيدة زينب عليها السلام، حيث نادى حبيب أصحابه، عندما علِم من نافع بن هلال بأنّ السيدة زينب عليها السلام وباقي النساء في حال وجلٍ ورعب:

«يا أصحاب الحميّة، وليوث الكريهة، هذا نافع بن هلال يخبرني الساعة بكذا وكذا، فأخبروني عن نيّاتكم. فجرَّدوا صوارمهم، ورموا عمائمهم، وقالوا: أما والله يا بن مظاهر، لئن زحف القوم إلينا لنحصدنّ رؤوسهم، ولنلحقهم بأشياخهم، ولنحفظنّ رسول الله صلى الله عليه وآله في عترته وذريته.

فقال لهم حبيب: معي معي.

فقام يخبط الأرض بهم، وهم يعْدُون خلفه، حتى وقف بين أطناب الخيم، ونادى:

السلام عليكم يا ساداتنا، السلام عليكم يا معشر حرم رسول الله صلى الله عليه وآله، هذه صوارم فتيانكم آلوا أن لا يغمدوها إلّا في رقاب من يبتغي السوء

(1) الطبريّ، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، بيروت – لبنان، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، لا. ط، ج4، ص264.

(2) م. ن.

فيكم، وهذه أسنّة غلمانكم آلوا أن لا يركزوها إلّا في صدور من يفرّق بين ناديكم»[1].

ويكفي في الدلالة على هذه الميزة ما قاله الإمام الحسين عليه السلام لأخته الحوراء زينب عليها السلام، التي سألته قائلةً: يا بن أمّي، هل استعلمت من أصحابك نيّاتهم؟ فإنّي أخاف أن يسلموك عند الوثبة واصطكاك الأسنّة»، فبكى الحسين عليه السلام، وقال: **أما والله لقد بلوتهم، فما رأيت فيهم إلا الأشوس الأقعس، يستأنسون بالمنيّة دوني استئناس الطفل بلبن أمّه»**[2].

كثيرة هي المواقف التي لم تخرج من حيّز الكلام والتنظير إلى حيز الواقع والتطبيق العمليّ في التاريخ. لقد أثبت أصحاب الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء صدقهم من خلال دمائهم وأرواحهم التي رخصت أمام إمام زمانهم، فكانوا خير من أبلى بلاءً حسناً في الامتحان الإلهيّ الكبير على تلك الأرض الطاهرة، فترى أصواتهم وصيحاتهم ومواقفهم تعانق أجسادهم المطروحة على رمضاء كربلاء، تشهد لهم تلك البقعة التي ارتوت من دمائهم، ونسائم الهواء الذي تعطّر بعبق تلك الدماء.

هذا غيض من فيض، وشيء من تلك السمات والميزات التي سطعت يوم العاشر من المحرّم، لتسطّر أعظم تضحية ولائيّة في تاريخ البشريّة، وأنصع مدرسة في مواجهة الظلم والظالمين.

القائد والثورة على الظلم:

إنّ شخصيّة الإمام عليه السلام نفسه المتميّزة جدّاً في المجتمع الإسلاميّ، وبما تختزنه من أبعاد قرآنية ونبوية، وعمق وتجذّر في الموقعين الدينيّ والاجتماعيّ للمسلمين، يُعدّ من أهمّ نقاط القوّة التي كان من المفترض أن تكون سبباً لكثرة الأنصار لا قلّـتهم. فقد كان الإمام الحسين عليه السلام في موقع

(1) شرف الدين، السيّد عبد الحسين، المجالس الفاخرة في مصائب العترة الطاهرة، مراجعة وتحقيق محمود بدري، قم – إيران، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، 1421هـ، الطبعة الأولى، ص233.
(2) م. ن.

لا يوازيه أحد في شرق الأرض وغربها، ولا تدنو إليه أية شخصية مهما بدت كبيرة ومميّزة. هو سيّد قريش، وإمام المسلمين، وسنام العرب. وكان عليه السلام يُنبّه دائماً إلى ذلك في مواقع عدّة، لعلّ من أبرزها خطبته عليه السلام يوم عاشوراء، بعد أن ذكّرهم ببعض ما قاله جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله فيه وفي أخيه الإمام الحسن عليه السلام، ثم أردف عليه السلام قائلاً: «**فإن كنتم في شكٍّ من هذا، أفتشكّون أنّي ابن بنت نبيّكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري فيكم، ولا في غيركم. وَيْحَكُم، أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟...**»[1].

ومن نقاط القوّة في حركة الإمام الحسين عليه السلام أيضاً أنّ أهداف الثورة الحسينية كانت معلَنة، وشعاراتها التي رفعتها ونادت بها كانت واضحة وصريحة، وهي تنطلق من عقيدة الأمّة ودينها، وتهدف إلى عزّة المسلمين وقوّتهم، وإنقاذهم من ظلم الأمويّين وإجحافهم واستئثارهم بحقوق الأمّة وخيراتها. وقد كانت شعاراتها هي شعارات الهدى والقرآن ونهج النبيّ صلى الله عليه وآله وسيرته وسنّته نفسها. وقد أوضح الإمام الحسين عليه السلام كلّ ذلك، كلّما سنحت له فرصة، وذكر بعضها في أول بيان تركه في المدينة: «**وإنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً...**»[2].

ولم يكتفِ الإمام الحسين عليه السلام بدعوة الناس إلى اتخاذ الموقف الذي يُمليه عليهم دينهم وانتماؤهم لنبيّهم صلى الله عليه وآله جالساً في بيته، تاركاً الناس في المواجهة، كلّا، بل ألقى عليه السلام بنفسه وبأهله ونسائه وعياله في ساحة التحديّ لظلم الأمويّين وطغيانهم، وهذا من شأنه أن يُثير العواطف الإسلامية النبيلة، ويُحرّك عوامل الشمم والإباء والغيرة على الدِّين في نفوس المسلمين، ويوقد نيران الغضب الرساليّ الهادف في ضمائر الأمّة ومواقفها: «**ألا وإنّي زاحف بهذه الأسرة مع قلّة العدد وكثرة العدو وخذلة الناصر**»[3].

(1) بحار الأنوار، ج54، ص7.
(2) م. ن، ج44، ص330.
(3) بحار الأنوار، ج45، ص9.